نعوم بك شقير

نعينا الى قراء المقتطف هذا العصامي وقد توفاهُ الله في الخامس والعشرين من شهر مارس الماضي اثر داء لم تنجع فيهِ حيل الطب والاطباء ووعدنا ان نأتي على ترجمتهِ في هذا الجزء لانهُ كان من رجال العلم والعمل الذي نثبت ترجماتهم لينتفع بها القراء

يقول العامَّة « من خلَّف ما مات » وهم يعنون ان من مات عن اولاد يقيمون اسمهُ يبقى بهم حيًّا . ولكن ان لم يكن للميت اثر خالد ينتفع بهِ الناس نسي اسمهُ بعد سنين قليلة او كثيرة . فقد عاش ومات الوف الملايين من بني البشر ولا يذكر منهم الآن الاَّ افراد قلائل من الحكماء والعلماء والادباء والمخترعين والمستنبطين الذين وضعوا سنناً يرتشد بها الناس او اقوالاً كتباً تتداولها الايدي او اخترعوا ما يسهل الاعمال ويقلل المشاق او اكتشفوا ناموساً طبيعيًّا تعلل بهِ حوادث الكون

ولد النقيد سنة ١٨٦٤ ومسقط رأسهِ الشويفات احدى قرى لبنان الكبرى . وتلقى دروسهُ العالية في جامعة بيروت الاميركية حينما كانت تسمى بالمدرسة الكلية السورية الانجيلية . وكان فيها من النابغين واشهر بين ابنائهِ بإباءة الضيم والمبادرة الى نصرة الدين يحسبهم مظلومين . رأى ان احد الاساتذة جار على فريق من اخوانهِ التلامذة فانضمَّ الى المنتصرين لهم على ذلك الاستاذ وترك المدرسة معهم قبلما نال الشهادة النهائية . لكن المدرسة التي ضنَّت عليهِ بشهادتها حينئذٍ اهدتها اليهِ لما رأت سيرهُ في العالم بعد خروجهِ منها وصارت تفتخر بهِ كما تفتخر بانبغ ابنائها . وقد امتاز مدى عمرهِ بهذا الخُلق اي اباءة الضيم ونصرة الحق والمجاهرة بما يعدُّهُ صواباً . وآخر ما بدا منهُ في هذا الصدد القصيدة التي القاها في الجامعة الاميركية بمصر يوم الاحتفال بالريحاني فقد أُعجب بها الحضور وقابلوا كل بيت منها بالتصفيق لانها وقعت في نفوس طالبي الاستقلال احسن موقع

لما احتلَّ الانكليز القطر المصري بعد اخماد الثورة العرابية وجرَّدوا حملة على السودان لانقاذ غوردون باشا جاء النقيد القطر المصري حينئذٍ وانتظم في

نعوم بك شقير

مقتطف مايو ١٩٢٢

امام الصفحة ٤٣٠

قلم المخابرات وصار مع الحملة لكنهُ لم يهمل البحث العلمي والدفاع عما يعدهُ صواباً كما يتضح من آثارهِ المنشورة في المقتطف . فقد سأل سائل في مقتطف اكتوبر سنة ١٨٨٥ هل للمحامي ان يدافع عن جانٍ وهو (اي المحامي) يعلم تمام العلم ان ذلك الرجل ارتكب الجناية التي اتّهم بها قصد تبرئتهِ منها . فاجاب بعض رجال القانون مصوّبين دفاع المحامي في هذه الحال .وكان صاحب الترجمة في اصوان مع الحملة فردَّ عليهم الردَّ الذي يميل اليهِ طبعهُ وتوجبهُ عليهِ تربيتهُ وهو انهُ لا يجوز للمحامي ان يجتهد في تبرئة جانٍ وهو عالم تمام العلم بجنايتهِ

وكان من خلقهِ المبادرة الى تأييد الاعمال النافعة . فلما عاد من السودان تولى وكالة المقتطف في بلاد الشام وجعل يزور المدارس ويكتب عنها مرغباً في نشر العلم المفيد والتربية الصحيحة .زار مدرسة في عكاء انشأها نخلة افندي زريق الذي توفي حديثاً ونشرنا ترجمتهُ في مقتطف نوفمبر ودسمبر الماضيين بقلم الاستاذ سكاكيني احد تلامذتهِ.وكتب الفقيد عنهُ حينئذٍ رسالة وجيزة نشرناها في مقتطف يوليو سنة ١٨٨٩ اي منذ ٣٣ سنة واننا نعيد نشرها هنا الآن لدلالتها على مذهبهِ الاجتماعي وحسن فراستهِ في الرجل الذي انشأ تلك المدرسة قال

« من الناس من يعيشون على عصار غيرهم كالنبات الحلمي وهؤلاء لا شأن لهم في الدنيا ولا يفعلون عظيماً لانهم بتوكلهم على غيرهم يهملون قواهم فتضعف رويداً رويداً حتى تعدم منهم بالكلية .ويسرنا ان نرى اهالي بلادنا قد ابتدأوا ينتبهون الى ذلك ويتهيأون لبناء عدتهم بايديهم وتولي امورهم بانفسهم .ومما يذكر من هذا القبيل فيذكر مدرسة في عكاء انشأها الاديب نخلة افندي زريق وفتح ابوابها للطلبة الذين لا يشاؤن ان يكونوا تحت جيل احد فيدفعون لهُ اجرة التعليم فاجتمع اليهِ اكثر من عشرين تلميذاً يدرسهم العربية والفرنسوية والحساب ومسك الدفاتر وما اشبه . وقد زرت هذه المدرسة في الشهر الغابر وامتحن التلامذة امامي فرأيت ان معارف تلامذة الصف الاول في العربية لا تقصر عن معارف التلامذة في اكبر المدارس فعسى ان يقتدي بهذا الاديب كثيرون »

وكان شديد الميل الى البحث والاستقصاء وهو الدافع الذي جعلهُ يؤلف كتابين قيمين يخلدان ذكراهُ تاريخ السودان وتاريخ سيناء وان يتم قبيل وفاتهِ بتأليف كتاب ثالث في تاريخ اليمن كاد يتمهُ كلهُ . وظهرت فيهِ بوادر هذا الميل في

كتيب جمع فيهِ امثال العوام في مصر والسودان والشام ونشرهُ سنة ١٨٩٤ وفي مقالة نشرت في مقتطف يوليو سنة ١٨٩٨ موضوعها البرابرة ولغتهم . لاد ميلهُ الى البحث والاستقصاء ابى عليهِ انهُ في بلاد ذهاباً وايابًا من غير ان يستقصي تاريخ سكانها واصول لغتهم مع ما في ذلك من الغموض . وقد الّف ايضاً كتاباً في الشبان والواجب لم يطبع بعد

تاريخ السودان

ان ما تقدَّم من ميل الفقيد الكريم الى البحث حملهُ على تأليف هذا التاريخ القيم فجاء في اكثر من الف صفحة كبيرة حافلة باخبار وحقائق لم يكن يتسنّى لغيرهِ الوقوف عليها فانهُ عاد الى القطر المصري في اواخر سنة ١٨٨٩ وانتظم في قلم المخابرات وصحب الجيش وهو ذاهب لاسترجاع طوكر سنة ١٨٩١ ثم لاسترجاع دنقلة سنة ١٨٩٦ والخرطوم سنة ١٨٩٨ . وقال انهُ شهد جميع الوقائع التي حدثت في السودان ولقي مئات من رجالهِ وتصفح كتب التاريخ والسياحات التي تتكلم عليهِ صريحاً او عرضاً من قديمة وحديثة افرنجية وعربية مطبوعة وغير مطبوعة وخالط السودانيين على اختلاف اجناسهم وطبقاتهم في مصر والسودان واخذ عن تقلتهم ما علموهُ من تاريخ بلادهم مما عرفوهُ بانفسهم او حفظوهُ عن اسلافهم . وذكر في مقدمة تاريخهِ اسماء الكتب التي اعتمد عليها والرواة الذين نقل عنهم فاستغرق ذلك اربع صفحات فلا عجب اذا بقي هذا التاريخ النفيس اثراً خالداً لهُ تتداولهُ الايدي وتزدان بهِ المكاتب ويرجع اليهِ كل من يرد البحث في تاريخ السودان وسكانهِ من عهد المصريين الاقدمين الى الآن

تاريخ سيناء

ان الاسباب والوسائل التي دعت الفقيد الى تأليف تاريخ السودان عرض لهُ ما يماثلها لتأليف تاريخ سيناء وقد فصّلها في المقدمة التي قدمها لهُ وخلاصتها ان نظارة الحربية ندبتهُ مراراً للذهاب الى شبه جزيرة سيناء فتعرَّف بسكانها ثم عُيّن سكرتيراً للجنة المصرية التي ندبت لتعيين حدود سيناء الشرقية مع اللجنة العثمانية فطاف في البلاد كلها وزار قبائلها وبحث عن آثارها القديمة والحديثة ثم تصفح الكتب القيمة التي تتكلم عنها واطلع على الكتب التي في دير سيناء واستخلص من ذلك كلهِ هذا التاريخ الجامع والحق بهِ وصف جميع الحملات التي حملها الغزاة على

مصر بطريق سيناء وادمج فيهِ خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وتاريخ العرب قبل الاسلام وبعدهُ وتاريخ السوريين في مصر ونحو ذلك من المباحث جاء في نحو ٨٠٠ صفحة كبيرة بحرف دقيق . وقد اتى الكتابان تاريخ السودان وتاريخ سيناء الاقبال الذي يستحقانهِ فنفدت نسخ الاول كلها وكادت نسخ الثاني تنفد ايضاً

رب البيت

وُفّق الفقيد بأن اقترن بسيدة فاضلة من بيت علم وفضل وهي كريمة الوجيه اسبر افندي شقير من اوجه وجهاء سورية فقامت على تدبير بيتها احسن قيام وربت اولادها التربية الصالحة فكانت عوناً لهُ على القيام باشغالهِ الكثيرة. وابنها الاكبر من نوابغ الشبان وهو يتلقى الآن دروس الطب في جامعة بيروت اليسوعية

الصديق المحسن

حسبُنا للدلالة على ماكان للفقيد من المكانة في قلوب اصدقائهِ ومعارفهِ عدد الذين مشوا في جنازتهِ وشيعوهُ الى مدفنهِ والقصائد والخطب التي القيت عند دفنهِ رثاء وتأبيناً فانها كلها شاهدة بما تكنهُ القلوب لهُ من الحب وما تعترف لهُ بهِ من الفضل

غيرته على التعليم

ان ما بدا من غيرتهِ على التعليم في الرسالة المنشورة آنفاً قد بَدَا فيهِ مع الزمن فاهتم بمدارس الطائفة الارثوذكسية في مصر شديد الاهتمام ولاسيما بالمدرسة العبيدية ومدرسة جمعية القديس جاورجيوس وكان عضواً عاملاً في لجنة المدرسة العبيدية وبسعيهِ اتقن تدريس اللغة العربية فيها وزادات اموال الاحسان التي تجمع للمدرسة الاولى من لا شيء تقريباً الى ان بلغت نحو ثلاثة آلاف جنيه في السنة فخسرت هاتان المدرستان بموتهِ خسارة لا تعوض

الغيرة الطائفية

كان شديد الغيرة على ابناء طائفتهِ الارثوذكسية ولاسيما على السوريين منهم وكان همهُ الاكبر في اخريات ايامهِ ان يبنوا كنيسة كبيرة تليق بهم فاختارهُ مجلس الطائفة مع اثنين آخرين للقيام بهذا العمل وهو يقول يجب ان نعمل احسن ما يمكن ان يعمل فنبني كنيسة من اكبر الكنائس واجملها في اوجه مكان في العاصمة

تسع الوف المصلين وتسمع الاصوات فيها على تمام الوضوح . فزار كل كنائس القاهرة واستحسن استماع الاصوات فيها الى ان اختار كنيسة لتبنى الكنيسة الجديدة على نسقها ولو فسح الله لهُ في الاجل لبنيت هذه الكنيسة على ما اراد

سائر اوصافه

كان طويل القامة مهيب الطلعة قوي العضل اذا كلمك على انفراد سمعت لكلامهِ نغمة اللطف والدعة مع الاجتهاد في الاقناع واذا تكلم في جماعة كبيرة اندفع بقوة عارضة كانهُ يضيف قوة الصوت الى ادلة الاقناع

وكان سريع الخاطر تعلق على النظم ولهُ منظومات كثيرة اكثرها في مواضيع ادبية او حماسية نشر بعضها في المجلات والصحف السيارة وكأنهُ كان ينظم لا ليحلّق في فيافي الخيال بل ليعبر عن معنًى ادبي او حماسي بكلام موزون يكون لهُ في النفوس الوقع الحسن

وقد عرفت حكومة السودان جليل خدمتهِ لها فرقتهُ الى ادارة فرع التاريخ ولعلها اوجدت هذا الفرع خصيصاً لهُ ومنحتهُ الحكومة المصرية رتبة الممتاز الرفيعة

انحرفت صحتهُ في اوائل شهر مارس الماضي ورأى الاطباء انهُ مصاب بقرحة في المعدة قرب اتصالها بالامعاء وقرروا ان لا مناص من عملية جراحية وانهُ قد يسلم بها ولا سلامة بدونها. وكانوا اربعة من اشهر الاطباء والجراحين فالتفت اليهم وسألهم واحداً واحداً هل هذه العملية ضربة لازب ولا حياة بدونها فاجابوهُ بالايجاب فقال افعلوا . وعملت العملية وسارت سيراً حسناً ولكن عوادي الادواء لا تحصى ولم يمتلك الطب حتى الآن الاَّ ناصية القليل منها . وقبيل ظهر السبت في ٢٥ مارس شعر ان انفاسهُ سارت معدودة فقال للذين حولهُ قضي الامر واغمض عينيهِ واسلم الروح

وما شاع نعيهُ في القاهرة حتى اعترى اصدقاءهُ ومعارفهُ الوجوم وقد اكبروا فيهِ هذا المصاب لاسيما وانهم قضوا ايامًا يعودونهُ متمسكين بحبال الرجاء

عرفناهُ تلميذاً لنا وصديقاً واخاً ولقد كانت كل مباحثهِ معنا في الاعوام الاخيرة دائرة على خلود النفس ولم يخطر ببالنا قط انهُ يغادر هذه الحياة قبلنا ولكن السابق السابق منا الجواد . فعلى رجاء الخلود اودعنا جسمهُ التراب والفراق غير طويل